آثار البتراء

مدينة منحوتة في الصخر

كانت البتراء الى عهد قريب مدينة مطوية في صدر البيداء لصعوبة الوصول اليها. اما الآن فقد صار في مستطاع السائح ان يصل اليها بالسكة الحديدية و بسيارة فورد · يسافر من القدس الى نهر الاردن بالسيارة ثم يجتازهُ على جسر (كبري) يدعى جسر اللنبي الى عمان عاصمة امارة شرق الاردن. ومنها يسافر بسكة الحديد الى معان فيصلها في ثماني ساعات الى عشرة . ومن معان يمتطي جملاً او حصاناً الى البتراء فيصلها في نحو ٦ ساعات . وقد زارها حديثاً المستر شيستون عضو الجمعية الملكية الجغرافية ببلاد الانكليز فكتب عنها فصلاً شائقاً في مجلة الدسكتري قاعدنا بعض ما كتبناهُ عنها في المقتطف منذ ٣٠ سنة وشفعناهُ بمقتطفات من مقالتهِ في وصف اعظم آثارها ليرى ابناء الشرق ان اطراف بلادهم المحسوبة الآن قفاراً ومفاوز كانت غاصة بالسكان وكان فيها مدن ضخمة ترد غارات اليونان والرومان وانما صلحت لهُ منذ مئات الاعوام تصلح لهُ الآن اذا بذلت الهمة في اعادة العمران اليها · قلنا :

«على منتصف المسافة بين ايلة وبحيرة لوطفير هرون وعين موسى حيث يقال ان هرون اخا موسى مات ودُفن وان موسى ضرب الصخرة فشقها وخرج الماء منها لسقيا بني اسرائيل. وهناك منفرج بين جبال الشراة فيهِ آثار مدينة قديمة كانت محط القوافل بين بلاد فارس وبلاد مصر وبين الهند والبحر المتوسط وهي التي سميت في التوراة سالع وسمّاها اليونان والرومان بترا ولعلها البتراء الواردة في ما ذكرهُ ابن هشام عن غزوة النبي لبني لحيان حيث قال انهُ سلك على غراب جبل بناحية المدينة على طريقهِ الى الشام ثم على مخيض ثم على البتراء . وظن بعضهم انها هي الرقيم التي ذكرها ابو الفداء حيث قال « ومن الاماكن المشهورة بالشام الرقيم وهو بُليدة صغيرة بقرب البلقاء وبيوتها كلها منحوتة من الصخر كأنها حجر واحد » . ولكن ذلك بعيد لبعد البلقاء عن جبال الشراة

« ومعنى البتراء باليونانية الصخر او الجندل وهذا معنى سالع اسمها بالعبرانية . ومعنى سالع بالعربية الشق في الجبال . ومن الغريب ان منفرج الجبل الذي يوصل بهِ الى اطلالها يسمّى الآن شقّاً كأنهُ مرادف لاسمها العبراني

« وكانت البتراء للادوميين ثم تغلَّب عليها النبط جاؤوها من العراق العربي وكانوا اهل حضارة وتجارة ولغتهم كالارامية وحروفها كالحروف الكوفية والمظنون ان الحرف الكوفي مشتق منها . وجاء في التواريخ القديمة ان انتيغونس احد قوَّاد الاسكندر المكدوني الذي توفي سنة ٣٠١ قبل المسيح بعث حملتين على النبط في بتراء بعد ما استولى على سورية وفلسطين الاولى بقيادة قائد اسمهُ اثينيوس فهاجم بتراء سنة ٣١٢ قبل المسيح ورجالها غائبون عنها في سرق عمومية وغنم منها غنيمة وافرة من المر واللبان وخمس مائة وزنة من الفضة ولما عاد اهلها ورأوا ما حلَّ بهم اقتفى اثرهُ ثمانية آلاف منهم وبيَّتوهُ وقتلوا اكثر رجالهِ . والحملة الثانية بقيادة ابنهِ دمتريوس وبلغ خبرهُ النبط فاستعدوا عليهِ ولم ينلهم منهُ مكروه

« وذكر سترابون المؤرخُ النبطَ في ايام اغسطس قيصر فقال ان عاصمتهم بتراء وقد سميت بذلك لان الصخور تحيط بها من كل ناحية وفيها مياه غزيرة لسقي بساتينها . واكثر الارض حولها قفار ولاسيما في ما يلي اليهودية . وكان تجار الهند والعرب يأتونها ببضائعهم وينقلونها من هناك الى العريش وزادت هذه التجارة في ايام الرومان فاختطوا طريقاً لها من ايلة إلى بتراء فدمشق وطريقاً اخرى من بتراء الى اورشليم وعسقلان وثغور الشام

« واتى الفيلسوف اثيناودورس صديق سترابون الى بتراء واستوطنها مدة ورأى فيها كثيرين من الرومانيين وغيرهم من الغرباء وكانوا مستوطنين فيها

« وذكرها بليني في القرن الاول المسيحي وقال ان النبط يسكنون مدينة اسمها بتراء في وادٍ اقل من ميلين اتساعاً تحيط بها جبال لا تُسلك وفيها نهر جارٍ

« وقال يوسيفوس ان الاسكندر ملك اليهود حارب عُبَيْد ملك العرب (سنة ٩٣ قبل المسيح) وكان عبيد قد اقام لهُ كيناً في وعر عسر المسالك في الجولان فدخل الاسكندر وادياً عميقاً هو ورجالهُ ولم ينج منهُ الاَّ بشق الانفس

« ثم ذكر كيفية استيلاء ملوك النبط على دمشق فقال ان انطيوخس آخر ملوك السلوقيين قصد الحرث ملك بتراء فابعد الحرث من وجهه اولاً الى حيث تمكنهُ البلاد من مناجزته ثم إنقلب عليهِ بغتةً بعشرة آلاف فارس من فرسانهِ فكاد جنود انطيوخس يولون الادبار ورأى منهم ذلك فاسرع الى لمّ شعثهم وتشديد عزائمهم فاصابتهُ ضربة قضت عليهِ وتفرق شمل رجالهِ بعدهُ وانهزم الذين نجوا منهم الى قرية قانا فماتوا جوعاً . وكان اهالي دمشق يكرهون بطليموس فدعوا الحرث ملك العرب وملكوهُ عليهم

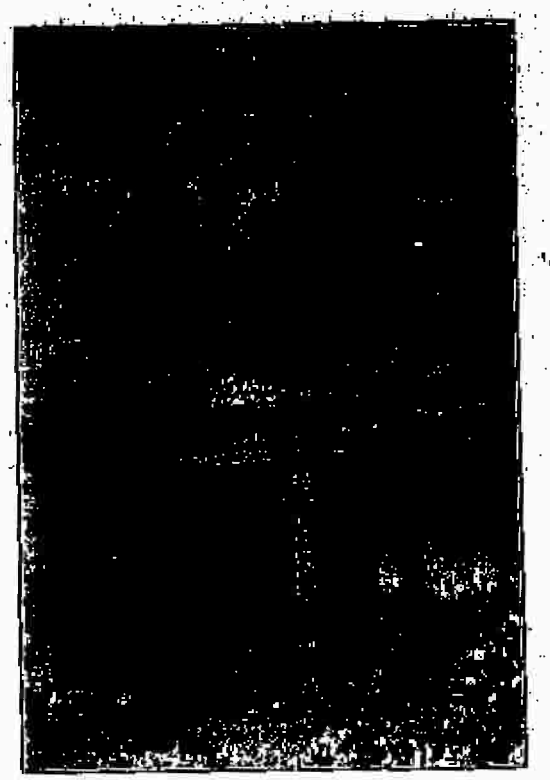

خزنة فرعون في البتراء

مقتطف مارس ١٩٢٦

امام الصفحة ٢٩٩

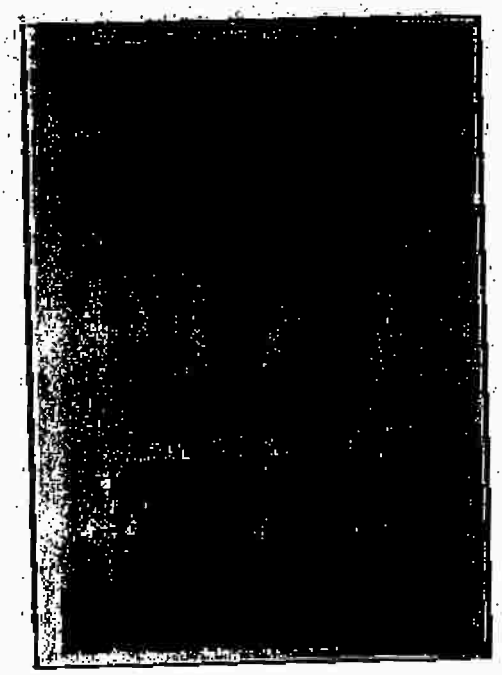

الفراغ المعماري كما تراهُ في مقبرة الامير ميخو باسوان والعمد اسطوانية الشكل

مقتطف مارس ١٩٢٦

انظر الصفحة ٣٠٢

« وخضعت بتراء للرومانيين في عهد تراجنس في اوائل القرن الثاني للمسيح وسماها سكانها باسم ادريانس اكراماً لهُ وضربوا نقودهم باسمه. ثم ذكرت في القرن الرابع والخامس والسادس وحضر مطرانها جرمانوس المجمع السارقي سنة ٣٥٩ . ومطرانها ثيودورس في المجمع الاورشليمي سنة ٥٣٦ ولم يبق منها الآن الاَّ شيء من مدافنها وهيا كلها وكلها منحوتة في الصخر على جانبي الوادي وهي من اعجب ما صنعهُ الناس »

وقال المستر شبستون: آثار البتراء فريدة بين عجائب الشرق وبقايا الحضارات البائدة. تجد في خرائب بعلبك وتدمر انقاضاً من الآثار الفخمة ولكنك تجد في البتراء « الساكنة في محاجيء الصخر » على ما جاء في سفر النبي عوبديا هياكل ومسارح ومقابر ومنشآت لم تمسها يد الفناء باذى وهي لا تزال حافظة للرونق الذي كانت عليهِ يوم نحتت من الصخر

هذه الآثار تدهش السائح بتعدد ما يراهُ فيها من اساليب البناء عند القدماء فترى في الآثار القديمة منها مزيجاً من الفن البتراوي والفن المصري واما المنشآت التي تليها في القدم ففيها آثار للفن اليوناني والفن الروماني

المرتقى من معان الى البتراء شاق فيمر السائح تحت جبل هرون الذي سمي كذلك لانَّ هرون مات هناك حسب خرافات البدو وقبل الوصول الى الآثار يمرُّ في مضيق يدعى الشق يختلف ارتفاع جانبيهِ من ٢٠٠ قدم الى ٥٠٠ قدم ثم يدخل وادياً هو موقع مدينة بتراء فتحييهِ من كل جانب منشآت عظيمة معمدة منحوتة في الصخر

هذا الوادي طولهُ نحو ثلاثة ارباع الميل وعرضهُ يختلف من ٥٠٠ ذراع في الطرف الواحد الى ٢٥٠ ذراعاً في الآخر . والجبال المحيطة بهِ تجعلهُ كمثل النسر في شامخ القمم منيع الجوانب لا تطالهُ غارات الاعداء. هذه المناعة وكون المدينة التي نشأت هناك من اكبر محطات القوافل السائرة بين البحر الاحمر وشمال سورية جعلاها من اعظم المدن في ذلك العهد

تجد عند مدخل الوادي ما سمي خزنة فرعون وهي من عجائب المشرق ومن احدث منشآت البتراء اذ يقال ان الفضل في انشائها يعود الى الامبراطور هدريانوس الذي زار هذه المدينة سنة ١٣٠ ب . م وانشأ فيها هيكلاً للآلهة ازيس . والصخر الذي نحت منهُ وردي اللون وهي لا تزال سليمة قائمة بجدرانها واعمدتها ونقوشها . تتألف واجهتها من صفين من الاعمدة احدهما فوق الاخر في كل صف منهما ستة اعمدة بينها عمادع تحوي تماثيل منحوتة من الصخر ايضاً. والعمودان الفذان يتوسطان الصف العالي

مثال مصغر لهيكل في اعلاهُ قارورة يقول العرب انها تحوي كنوز فرعون . وارتفاع خزنة فرعون هذه سبعون قدماً ولها باب مزخرف بالنقوش يدخل منهُ الى غرفة مساحتها نحو مائة قدم مربعة خالية من الزخارف . وهناك ثلاث غرف اخرى اصغر منها

ويرى السائح على الجانب الايسر من الوادي مسرحاً مدرجاً في نصف دائرة منحوتة درجاتهُ في الصخر يكفي لجلوس ثلاثة آلاف وعلى مقربة منهُ كثير من الاعمدة والمدافن التي تختلف في حجمها كما تختلف في اساليبها الفنية

واكبر خرائب البتراء اذا صحَّ ان ندعوها خرائب هيكل يعرف « بالدير » وهو يشبهُ خزنة فرعون في هندستهِ علوهُ نحو ١٥٠ قدماً وطولهُ كذلك تقريباً ويؤلف من صفين من الاعمدة احدهما فوق الآخر

وفي جانب الوادي الايمن او الغربي آثار قصر يدعى قصر فرعون ولا ريب في انهُ كان هيكلاً لاننا رأينا فيهِ مذبحاً ووراءهُ سلم منحوتة في الصخر تؤدي الى قمة اكمة حيث مكان الذبائح فترى مذابح وبركة للماء وفناءً فسيحاً كلها نحوت في الصخر

اما المدافن في البتراء فلا يقل عددها عن ٨٠٠ مدفن . وقد اكتشف السر الكسندر كندي مدافن جديدة لم تكن معروفة قبلاً وعندي انهُ اذا جرى البحث في هذه البقعة على اسلوب علمي دقيق وُجدت مدافن اخرى . بعض هذه المدافن نحتهُ الانباط والبعض الآخر نحتهُ اليونان والرومان ومن اهمها مدفن يدعى « مدفن القارورة » وهو عشر غرف كلها فارغة الآن ومساحة اكبرها ٦٠ قدماً مربعة . وهناك مدفن يعرف بمدفن الحاكم دُفن فيهِ سكستس فلورنتينُس احد حكام البتراء من الرومان . وهو اشبه بهيكل منهُ بمدفن فيهِ اعمدة مستديرة واجرى مربعة وتماثيل وبعلوهُ نصر باسط جناحيهِ

وقد كان يجري في هذا الوادي نهر ولكنهُ غاض الآن ولا تزال آثار الجسور (الكباري) التي كانت تصل بين ضفتيهِ ماثلة للعيان . وهناك آثار نفق نُحت في الصخر عند مدخل الشق كان سكان البتراء يجرون فيهِ مياه النهر حين فيضانهِ . وقد كان طول هذا النفق ٣٣٠ قدماً وعلوهُ ١٩ قدماً ونصف قدم وعرضهُ ١٦ قدماً ونصف قدم . كذلك يستطيع الباحث ان يرى آثار قناطر المياه التي كانت تُجرُّ بها مياه الشرب وقد كان لهذه القناطر مدخل مزخرف كقوس نصر نقشت عليهِ تماثيل وصور تجعلهُ من ابدع الآثار واتقنها